تاجر البندقيـــــــــة

كانَ فى مدينـــةِ البُندُقيةِ مُرَابٍ جَشِعٌ يُدْعَى « شَيلُوكَ » ، قد جَمَعَ ثَرْوَةً طائلةً من إقْرَاضِ الناسِ بالرِّبا الفاحِشِ . وكانَ فى المدينـةِ تاجرٌ طَيِّبُ القَلْبِ ، كثيرُ العطفِ على الناسِ اسْمُهُ « أنْطُونيُو » . فكانَ يُعْطِى مِنْ مالِهِ ذَوِى الحاجاتِ من دُونِ أنْ يَسْأَلَهُمْ عن ذلك رِبْحًا . وكان لِهٰذَا موضعَ إجْلالِ الجَميعِ وَمَحَبَّتِهِمْ ، إلاَّ شَيلُوكَ ، فإنَّهُ كانَ يَحْنَقُ عليـه حَنَقًا شـديداً ، لاعتقـادِهِ أنَّهُ يُمَاكِسُهُ فى رزقِهِ ، ويَعْمَلُ عَلَى إبْعَادِ الناسِ عنه بِمُسَاعَدَتِهِ إيَّاهم .

وَحَصَلَ مَرَّةً أنْ جاء « أنْطُونيُو » صَدِيقٌ لهُ يُدْعَى « بَسَانيُو » ، وطَلَبَ إلَيْهِ أنْ يُقْرِضَهُ مَالاً يَحْتَاجُ إليه ، لِأنَّهُ مُقْدِمٌ عَلَى زَوَاجٍ فتاةٍ موسِرَةٍ . غَيْرَ أنَّ أنْطُونيُو لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ فى ذلك الوقتِ مالٌ يُعْطِيهِ صَدِيقَهُ . وَكَانَ فى انْتِظَارِ سُفُنٍ قَادِمَةٍ إليه مُحَمَّلَةٍ بالبضائِعِ النَّفِيسَةِ . فَخَطَرَ لهُ أنْ يَذْهَبَ إلى شَيلُوكَ ، فَيَقْتَرِضَ منه المالَ الذى طَلَبَهُ صَدِيقُهُ عَلَى أن تَكونَ البضائِعُ الْمُنْتَظَرَةُ ضَامِنَةً له .

ذَهَبَ أنْطُونيُو وصَدِيقُهُ لِمُقَابَلَةِ شَيلُوكَ . وَعَرَضَا عليهِ الأمْرَ . فَسُرَّ فى نَفْسِهِ سروراً عظيماً ، لِأنَّ الظُّرُوفَ قد أتاحَتْ لهُ أن يَتَشَفَّى من غَيْظِهِ بالتَّنْكِيلِ بِغَرِيمِهِ . فقالَ له : « لقد كُنْتَ تَدْعُونى من قَبْلُ لِصًّا وكلباً وَحْشِيًّا ، وكنتَ تَبْصُقُ فى وجهى ، والآنَ تأْتِى إلىَّ لِتَطْلُبَ مِنِّى مالاً ؟ » فأجَابَهُ أنْطُونيُو : « نَعَمْ ، هٰكذا دَعَوْتُكَ ، وهكذا أدْعُوكَ دائماً . فإنْ شِئْتَ أنْ تُقْرِضَنِى المالَ فأقْرِضْنِى إيَّاهُ عَلَى أنَّنِى عَدُوٌّ لك لاصديقٌ ، كَيْلا يكونَ عليك حَرَجٌ فى مُقَاضَاتِى إذا لَمْ أُرَدَّهُ إليكَ » . فقال شَيلُوكُ : « مَهْلاً أيُّها السَّيِّدُ ، ولاتَكُنْ غَضُوباً إلى هذا الحَدِّ . سَأَنْسَى كلَّ إهَانَاتِكَ لى ، وسَتُصْبِحُ مُنْذُ السَّاعةِ صديقَيْنِ ، وسَأُقْرِضُكَ المالَ الذى تُرِيدُهُ من دونِ أنْ أسْأَلَكَ عليـه رِبْحًا » . فَدُهِشَ أنْطُونيُو أشَدَّ الدَّهَشِ . واسْتَمَرَّ المُرَابِى فى حديثِـهِ ، وقالَ مازِحاً : « كلُّ ما أرْجُوهُ أنْ تَكْتُبَ لى صَكًّا يُخَوِّلُنِى الحقَّ فى أنْ أقْطَعَ من جسمِكَ رِطْلاً من اللحمِ إذا مَضَتْ ثلاثةُ أشْهُرٍ ولَمْ تَفِ بِهِ » . فقال أنطونيو على الفَوْرِ : « حَسَنٌ ، سَأَفْعَلُ ، وإنَّكَ حَقًّا لَطَيِّبُ القلبِ » . وأرادَ بَسَانيُو ، الذى اقْتَرَضَ المَالُ من أجْلِهِ ، أنْ يَحُولَ دُونَ كتابَةِ هذا الصَّكِّ الغريبِ . ولكنَّ أنطونيو أصَرَّ عَلَى تَوْقِيعِهِ ، وطَمْأَنَ صديقَهُ بقولِهِ : « إنَّ سُفُنِى سَتَعُودُ قريباً مُحَمَّلَةً بما يُوَازِى هذا المَبْلَغَ أضعافاً مضاعفةً . »

وسافرَ بَسَانيُو إلى عروسِهِ الجميلةِ « بُورْشِيا » . وَذَاتَ يومٍ ، بَيْنَمَا كان يَتَحَادَثُ هُوَ وعَرُوسُهُ إذْ جاءَهُ رسولٌ من صديقِهِ أنطونيو بِخِطابٍ يقولُ فيهِ :

« فَقَدْتُ جميعَ سُفُنِي، وحانَ موعدُ تَنفيذِ الاتفاق، وَسَيَنْتَهِي الأمْرُ بِمَوْتِي حَتْماً. فأُريدُ أنْ أَرَاكَ. »

وَلَمَّا سَمِعَتْ بُورْشِيا القِصَّةَ، وَأَدْرَكَتْ مَبْلَغَ التَّضْحِيَةِ التي قَدَّمَها أنْطُونْيُو لِزَوْجِها، زَوَّدَتْهُ بالمالِ الكثيرِ. فانْطَلَقَ بِهِ إلى البُنْدُقِيَّةِ. فإذا بصديقِهِ رهينُ السِّجنِ، يَنْتَظِرُ الدَّعْوَى التي رَفَعَها شَيْلُوكُ عليه. فَذَهَبَ مُسْرِعاً إلى شَيْلُوكَ يَعْرِضُ عليه المالَ. وَلَكِنَّ شَيْلُوكَ أَبَى إلاَّ أنْ يُنَفِّذَ ما كُتِبَ في الصَّكِّ، وإلاَّ أنْ يَقْطَعَ رِطْلاً من لَحْمِ أنْطُونْيُو، لِأَنَّ مَوْعِدَ الوفاءِ الذي كانَ مُتَّفَقاً عليه قَدِ انْقَضَى.

باسانيو يقرأ رسالة صديقه

وَكانَتْ بُورْشِيا قد أَوْجَسَتْ خِيفَةً عَلَى حياةِ أنْطُونْيُو. فأرسلَتْ إلى قَريبٍ لها يَشْتَغِلُ بالمُحاماةِ، تَسْأَلُهُ أنْ يَبْعَثَ إليها بِرِداءٍ من أرْدِيَةِ المحامِينَ. ثُمَّ ارتَدَتْ بُورْشِيا ملابِسَ الرِّجالِ، ولَحِقَتْ بِزَوْجِها في البُنْدُقِيَّةِ. فَوَصَلَتْ في نَفْسِ اليَوْمِ الذي كانَ قد حُدِّدَ لِنَظَرِ الدَّعْوَى. وَدَخَلَتْ ساحَةَ القضاءِ، فلَمْ يَعْرِفْها أَحَدٌ حَتَّى زَوْجُها. ثُمَّ تَقَدَّمَتْ من القاضي، وهي تَرْتَدِي رِداءَ المُحامِينَ. وطَلَبَتْ إليه أنْ يَسْمَحَ لها بالدِّفاعِ عن المُتَّهَمِ. فَقَبِلَ القاضي ذلك، وهُوَ يَعْجَبُ، وَيَقُولُ في نَفْسِهِ: « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ مُحامٍ ناشِئٌ كهذا أنْ يُدافِعَ عن مُتَّهَمٍ في قَضِيَّةٍ خَطِيرَةٍ كهذه؟ » أَدارَتْ بُورْشِيا عَيْنَيْها في القاعةِ، فَرَأَتْ شيلوكَ واقِفاً، والغِلُّ يَمْلأُ صَدْرَهُ.. وَرَأَتْ زَوْجَها واقِفاً بِجوارِ صَدِيقِهِ، وقد أَخَذَ منهُ الفَزَعُ كُلَّ مَأْخَذٍ. ثُمَّ بَدَأَتْ كَلامَها بمخاطَبَةِ شَيْلُوكَ، قائِلَةً: « صَحِيحٌ إنَّ الاتِّفاقَ يُعْطِيكَ الحَقَّ فيما تُرِيدُ. ولا بُدَّ أنْ يُنَفَّذَ القَضاءُ! » ثُمَّ التَفَتَتْ إلى أنْطُونْيُو، وقالتْ: « هَيَّا اكْشِفْ صَدْرَكَ، واسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ! » فَذُهِلَ الحاضِرونَ أشَدَّ الذُّهُولِ من هذا الدِّفاعِ الغَرِيبِ. وَتَهَلَّلَ وَجْهُ شَيْلُوكَ. وَأَخَذَ يُحِدُّ سِكِّيناً طَوِيلاً اسْتِعْداداً للقَضاءِ على غَرِيمِهِ. وصاحَ يقولُ:

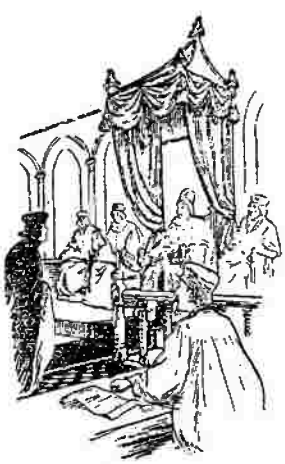
بورشيا امام المحكمة

« أَسْرِعُوا وانْطِقُوا بالحُكْمِ، فإنَّ وقْتِي ثَمِينٌ. وأُرِيدُ أنْ أَنْصَرِفَ ». وهنا سَأَلَتْهُ بُورْشِيا: « وهَلْ أَعْدَدْتَ المِيزانَ؟ » قال: « نَعَمْ ». قالت: « إذَنْ فأَنْصِتْ إليَّ: إنَّ مِنْ حَقِّكَ باسْمِ القانونِ أنْ تَقْطَعَ رِطْلاً مِنَ اللَّحْمِ من بَدَنِ أنطونيو. ولَكَ أنْ تَقْطَعَهُ من أَقْرَبِ مكانٍ إلى قَلْبِهِ أو من أيِّ جُزْءٍ شِئْتَ ». فصاحَ شَيْلُوكُ، مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: « لا فُضَّ فُوكِ أيُّها المُحامِي العادِلُ!

لا فضَّ فُوكَ ! » ثمَّ أخذَ يَشحَذُ سِكينَهُ من جديدٍ ويَنظُرُ إلى أنطونيو كالنَّمرِ الجائِعِ ، ويقولُ : « هَيَّا ! هَيَّا ! » فقالتْ بُورْشيا ، بِصَوْتٍ هادِئٍ رَزِينٍ : « ولكِنْ ، مهلاً ! لاتكُنْ عَجُولاً ! إنَّ العَقْدَ لايُعْطيكَ الحقَّ فى نُقْطَةٍ من الدَّمِ ، إنَّه يَنُصُّ بِعِبارَةٍ صَحيحةٍ عَلَى قَطْعِ رِطْلٍ من اللحْمِ . فإنْ أنتَ ، فى قَطْعِكَ اللحمَ أهْرَقْتَ مِنْ دَمِ أنطونيو نُقطةً واحدةً ، فَستَكُونُ قاتِلاً أمامَ القانونِ وسيكونُ جَزاءُكَ المَوْتُ » . فَسُقِطَ فى يَدِ شيلُوكَ ، واضطَرَبَ اضْطِراباً شديداً ، لِأنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّهُ من المُسْتَحيلِ عليه أنْ يَقْطَعَ اللحمَ من جِسمِ أنطونيو من غيرِ أنْ يُسيلَ دَمَهُ . ثم نَظَرَ إلى القاضِى ، وقال بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ ، وقد أيْقَنَ بالهزيمةِ : « سآخُذُ نُقُودِى ، أعْطُونِى نُقُودِى ! » فاندَفَعَ نَحْوَهُ بَسانيُو ، وهو فَرِحٌ بِنَجاةِ صديقِهِ ، وهو يقولُ : « هذه نُقُودُكَ ، فَخُذْها ! » . ولكِنَّ بُورْشيا حالَتْ دُونَ ذلك ، وهى تقولُ : « لا تَتَعَجَّلْ ! إنَّ شيلُوكَ لَنْ يأخُذَ إلاَّ مانصَّ عليه الصَّكُّ . هَيَّا يا شيلُوكُ ، وابْدَأْ بالتَّنفيذِ . ولْتَعْلَمْ كذلك أنَّكَ لو قَطَعْتَ مِنْ جِسمِ أنطونيو مايَزيدُ عَنْ رِطْلٍ واحدٍ أو يَنْقُصُ عن ذلك بِمِثْقالِ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

شيلوك يحمل الميزان

فَستَكُونُ قاتِلاً أمامَ القانونِ ، وستَحِنُّ عليك كَلِمَتُهُ ! » .

فكادَ شيلُوكُ يَفْقِدُ صوابَهُ ، وأخَذَ يَصيحُ كالذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ : « أعْطونِى نُقُودِى ! أعْطونِى نُقُودِى !! »

وهُنا قالت بُورْشيا : « والآنَ بِحُكْمِ قانونِ البُنْدُقيَّةِ ، وبَعْدَ الذى ظَهَرَ من سُوءِ قَصْدِكَ ، ومُحاوَلَتِكَ قَتْلَ أنطونيو عَلَى هذه الصُّورَةِ ، ستَذْهَبُ ثَرْوَتُكَ كُلُّها إلى الدَّوْلَةِ . أمَّا حَياتُكَ فَهِيَ مِلْكٌ لِلْمَحْكَمَةِ إن شاءتْ عَفَتْ عنكَ ، وإنْ شاءتْ أرْسَلَتْكَ إلى المَوْتِ » . فَجَثَا المِسْكِينُ على رُكْبَتَيْهِ يَطْلُبُ الرَّحْمَةَ من القاضِى الذى أخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ عليه . فعَفَا عن حَياتِهِ . وَحَكَمَ بأنْ يَسْتَوْلِىَ أنطونيو عَلَى نِصْفِ ثَرْوَتِهِ ، وأنْ تَسْتَوْلِىَ الدَّوْلَةُ على النِّصْفِ الآخَرِ .

وَفَرِحَ بَسانيُو بهذه النَّتيجةِ ، وقَرُبَ من المحامِى الذى أنْقَذَ صديقَهُ ، وقالَ لهُ : « لك الآنَ أنْ تَطْلُبَ مِنَّا ماتَشاءُ . فَنَحْنُ طَوْعُ أمْرِكَ » . ولكِنَّ المحامِىَ الشَّابَّ لم يَطْلُبْ غيرَ خاتَمٍ كان يَلْمَسُهُ بَسانيُو هَدِيَّةً من بُورْشيا أعْطَتْهُ إيَّاهُ قبلَ سَفَرِهِ ، وَوَعَدَها أنْ يَحْتَفِظَ به مَدَى الحياةِ . فَقَدَّمَهُ لهُ ، وهو يَعْمَلُ أنَّ جِسابِ لِما سَوْفَ تَقُولُهُ بُورْشيا ، حِينَما تَعْلَمُ بِضَياعِ الخاتَمِ .

وعادَ بَسانيُو مُصْطَحِباً صَديقَهُ أنطونيو لِيُقَدِّمَهُ إلى

زَوْجِهِ . وَكانتْ بُورْشِيا قَدْ سَبَقَتْهُمَا . فلمَّا رَأَتْ بَسَانيو سألَتْهُ عن الخاتَمِ ، وَادَّعَتِ الْغَضَبَ لِضَياعِهِ . وَلكِنَّهَا لمْ تَلْبَثْ أنْ أَرَتْهُ إيَّاهُ فعلِمَ الجميعُ حقيقَةَ المحامِي الشَّابِّ . وزادَ فَرَحُهُمْ حينما اطَّلَعَ أنطونيو على خطابٍ يُنَبِّئُهُ أنَّ ثلاثًا من سُفُنِهِ التي ظنَّ أنَّها فُقِدَتْ قد وصَلَتْ سالِمَةً إلى المِيناءِ .

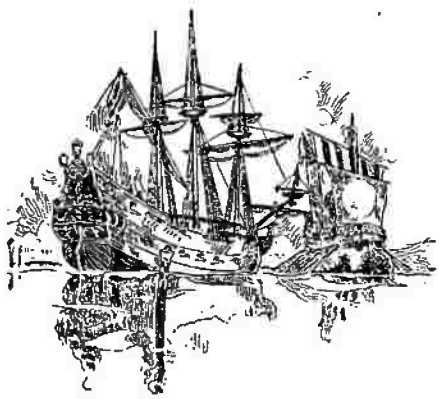

الثعلب الجوعان والقطة

فى لَيْلَةٍ قَمَرِيَّةٍ خَرَجَ ثَعْلَبٌ جَوْعانُ ، يَبْحَثُ عَنْ قُوتِهِ ، وأَخَذَ يَحُومُ حَوْلَ أَحَدِ المنازِلِ القَرَوِيَّةِ . فَرَأَى قِطَّةً صغيرةً . فقالَ لها : « إنَّكِ صغيرةٌ لا تَكْفِينَ غِذَائِي ، ولكنْ لا مانِعَ مِنْ أَكْلِكِ ، فَشَيْءٌ قليلٌ خَيْرٌ مِنَ العَدَمِ » فقالتِ القِطَّةُ : « لا تأْكُلْنِي ، فأَنَا أَعْرِفُ المَكانَ الذى يَحْفَظُ الفلاحُ فيهِ الجُبْنَ . فتَعالَ مَعِي لِتَنْعَمَ بأَكْلَةٍ تُشْبِعُكَ » . وَسارتْ إلى جُرْنِ القَرْيَةِ حيثُ تُوجَدُ بِئْرٌ عَمِيقَةٌ مُعَلَّقَةٌ عليها دَلْوانِ . ثمَّ أَشارَتْ إلى البِئْرِ ، قائلةً : « انْظُرْ هُنَا تَرَ الجُبْنَ » . فَنَظَرَ الثَّعْلَبُ فِي البِئْرِ . فَرَأَى قُرْصًا كبيرًا أبيضَ اللَّوْنِ ، ظَنَّهُ جُبْنًا ، وهُوَ فى الحَقِيقَةِ صُورَةٌ مُنْعَكِسَةٌ لِلْقَمَرِ . ثمَّ قالتِ القِطَّةُ : « وهذه هِيَ الطَّرِيقَةُ لِلنُّزُولِ » . وَقَفَزَتْ فى الدَّلْوِ العُلْيا ، فَدارَ الحَبْلُ حَوْلَ البَكَرَةِ ، ونَزَلَتْ بها الدَّلْوُ إلى قَعْرِ البِئْرِ ، فَارْتَفَعَتِ الدَّلْوُ الثَّانِيَةُ . وقَبْلَ أَنْ تَصِلَ دَلْوُهَا إلى الماءِ تَعَلَّقَتْ بالحَبْلِ حتَّى لا تَغْرَقَ . ونَادَاهَا الثعلبُ ، قائلاً : « أَحْضِرِي مَعَكِ قُرْصًا مِنَ الجُبْنِ » . فقالتْ : « إنَّ الأَقْراصَ ثَقِيلَةٌ ، ولا أَقْدِرُ أَنْ أَحْمِلَ شَيْئًا مِنها . فَانْزِلْ فى الدَّلْوِ الثَّانِيَةِ وخُذْ ما تَشاءُ » . وكانَتْ كلُّ دَلْوٍ مُتَّصِلَةً بأَحَدِ طَرَفَيِ الحَبْلِ ، حتَّى إذا نَزَلَتْ إِحْدَاهُمَا طَلَعَتِ الأُخْرَى . فَعِنْدَمَا رَكِبَ الثَّعْلَبُ فى الدَّلْوِ العُلْيا ، وَكانَ أَثْقَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ القِطَّةِ ، هَوَتْ بِهِ الدَّلْوُ بِسُرْعَةٍ وَارْتَطَمَتْ فى الماءِ . فَغَرِقَ ، بَيْنَمَا وَصَلَتِ القِطَّةُ إلى أَعْلَى البِئْرِ ، وَفازَتْ بالسَّلامَةِ بِفَضْلِ حِيلَتِهَا وَذَكائِهَا .